مورفولوجية العنف بالمجتمع: الأسرة كعامل مولد للعنف

الدكتورة: بن زيان مليكــة
قسم علم النفس
جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة

الملخَّــص :

العنف بصفة عامة يعم المجتمع، يكفي فقط تصفح الجرائد الوطنية ومعرفة عدد الأفعال العنيفة المتصاعد عددها يوما بعد يوم من حيث العدد والنوع، بالإضافة إلى التصرفات غير الحضارية الممارسة يوميا والمهددة للنسيج الاجتماعي الوطني.

إذا كان العنف قد انتشر إلى هذا الحد، فتفسير ذلك هو أن الأسرة قد فشلت في لعب دورها في غرس القيم الاجتماعية والأخلاقية لدى أبنائها.

Résumé :

La violence de manière générale a pris en Algérie des proportions alarmantes, il suffit seulement de feuiller la presse nationale ou le nombre des actes violents en plein expansion au plan qualitatif et quantitatif sans parler des incivilités qui envahissent grandement notre contexte social.

Si la violence s'est généralisée, à ce point, ce la tient, en grande partie, au fait que la famille n'a pas joué son rôle essentiel d'enraciner chez ses enfants les règles de la vie sociale.

مقدمـــة:

هناك العديد من مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تسهم في تنشئة الفرد تنشئة صالحة من خلال ما توفره له من مناخ مناسب للنمو السليم على جميع الأصعدة، ومن أهم هذه المؤسسات نجد الأسرة التي تلعب دورا هاما في تنمية ملكات وقدرات الطفل، حيث يحقق مناخها الملائم أهم مطالب النمو النفسي والاجتماعي والأخلاقي للطفل.

إن البيئة الاجتماعية بشكل عام سواء في المدرسة أو في الشارع أو في مختلف المؤسسات الاجتماعية تشهد في الآونة الأخيرة بعضا من الظواهر السلبية التي يمكن أن تؤثر سلبا في مجرى الأمور داخل الوطن، ومن أشهرها العنف، فيرى البعض أنه ظاهرة من الظواهر التي ظهرت على مسرح الحياة بشكل فج، لذا فهي تستحق الدراسة والبحث من مختلف التخصصات. والواقع أن جرائم العنف خلال السنوات الأخيرة قد أصبحت أمرا مثيرا للقلق والخوف، وذلك لتزايد حجم هذه المشكلة من جهة، واتجاه العنف إلى أنماط غير مألوفة تتسم بالقسوة واللامبالاة من جهة ثانية.

إن ظاهرة العنف ليست حكرا على المجتمع الجزائري فقط بل هي في تزايد مستمر على الصعيد العالمي أيضا، إنها ظاهرة عالمية بكل المقاييس.

في هذا الإطار سوف نتناول ظاهرة العنف وأسبابها من خلال التعرف على أحد الأسباب المساهمة في نموها وانتشارها: إنها البيئة الأسرية الغير ملائمة لتربية النشء، نظرا لفشلها في تبليغ الرسالة التي أكلها لها المجتمع من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لإنتاج أفراد صالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم ككل.

تحديــد المفاهيــم:

مفهوم العنف: يرجع أصل كلمة عنف violence إلى الكلمة اللاتينية violentia والتي يشير معناها إلى استخدام القوة، وقد ورد في قاموس "لونجمان" أن العنف هو استخدام القوة المادية لإنزال الأذى، أو الضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وأنه الفعل أو السلوك الذي يتصف بهذا، وأنه التقاليد التي تميل إلى إحداث الضرر الجسدي أو إلى التدخل في الحرية الشخصية". ويرى "دان أولوز" أن العنف هو أي سلوك خارجي ينتج عنه ألم أو ضرر على الضحية أو الآخرين".[1]

للعنف نوعان يجب التفرقة بينهما:

1- **العنف الشرعي:** ذلك العنف الذي يستند على أرضية مشروعة من القوانين أو الأعراف أو الأنظمة أو القيم أو التقاليد، ومثال ذلك عنف بعض ألعاب القوى والمباريات الرياضية.

2- **العنف الغير الشرعي:** ذلك العنف الشائع في معناه بين غالبية الناس، حيث يلتصق بطبقة اللاشرعية ويخالف القانون أو الأخلاق. وهو سلوك يتجاوز حدود تسامح المجتمع، كالقتل والإيذاء وبقية أنماط العنف الإجرامي.[2]

هذه التفرقة بين العنف الشرعي وغير الشرعي تسمح لنا بإعطاء تعريفا إجرائيا للعنف:

العنف هو ذلك النمط من السلوك العدواني البدني أو اللفظي غير المقبول يصدر عن الأفراد ويسبب هذا السلوك تأثيرا سلبيا على الآخرين.

أولا: أنماط العنف والنظريات المفسرة له:

أ) **أنمـــاط العنف:** يصنف العنف بشكل عام إلى العنف المادي والعنف غير المادي.

1- **العنف المـــادي** ذلك النمط من العنف الذي يستخدم في بشكل عادي – اللطم– الدفع– الصفع– وقد يعد تكرار مثل هذه الأشكال البسيطة للعنف شيئا عاديا أو مقبولا.

2- **العنف غير المـــادي:** إساءة استخدام العنف عن طريق استخدام الأفعال العدوانية وتعد تلك الأفعال أشد أفعال العنف خطورة لما يمكن أن يترتب عليها من إيذاء بدني.

كما يمكن تصنيف العنف من حيث القائم به إلـــى:

1- العنف الفـــردي: ويقصد به ذلك العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية.

2- العنف الجماعـــي: ويتمثل في حالة الإرهاب أو الحرب وقد يأخذ العنف الجماعي عدة أشكال تتمثل في اغتيال الرؤساء، والشغب في ساحات المدينة والذي يتضمن حرق المتاجر ونهبها، وزرع المتفجرات في صناديق البريد أو في مراكز الشرطة الرئيسية، والاستخدام المفرط للقوة من الحرس القومي أو الشرطة من خلال سلطتهم الشرعية، والإبادة الجماعية لشعب أو طائفة.[3]

كما قد يصنف العنف وفقا لمظاهره وأهدافه إلى: العنف السياسي، العنف الديني، العنف الأسري، العنف الطلابي.

ويعد العنف السياسي أكثر أنواع العنف انتشارا وأشدها خطورة في المجتمع، ويعني ذلك النمط من العنف تعمد إنزال أو التهديد بإنزال الإيذاء البدني أو الضرر من أجل أهداف سياسية.[4]

أما العنف الديني فيعد هذا النمط من العنف نتاجا لتصارع الجماعات الدينية فيما بينها أو للصراع على السلطة، وقد يرجع إلى أسباب عرقية أو عنصرية.[5]

أما العنف الأسري فانه يعد من المشكلات الرئيسية التي ظهرت في المجتمع الحديث، ويأخذ هذا النمط من العنف شكل الإساءة للطفل أو الإساءة للأزواج أو الإساءة لكبار السن، وقد يمتد ليشمل الإساءة للإخوة أو الأخوات والإساءة للآباء.

أما عن العنف الطلابي فيقصد به أحد أنواع العنف الذي يقلق العاملين في المؤسسات التعليمية كما يقلق السلطة السياسية في المجتمع، حيث يمثل الطلاب قوة لا يستهان بها في المجتمع.[6]

ب) النظريات المفسرة لظاهرة العنف: تعددت النظريات المفسرة لظاهرة العنف منها:

الاتجــاه البيولوجــي: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن هرمون الذكورة "الاندروجينّ هو السبب المباشر لوقوع العنف بدرجات كبيرة بين الرجال وأن هذا الهرمون يفرز نسبة عالية أوقات النهار مما يزيد من حدة الغضب لدى الشباب وينمي مشاعر الانفعال وينخفض إفرازه في المساء، ولقد أيدت هذه النظرية بعض التجارب المعملية على الحيوانات، ولكن بعض الآراء رفضت تفسير عنف السيدات بناء على هذا الاتجاه واعتبروه أمرا غير مقبول[7]. ويمكن استعراض عدة نظريات في هذا الاتجاه مثل: النظرية البيولوجية، والنظرية الوضعية، والنظرية الوراثية، وفيما يلي توضيح ذلك:

النظرية البيولوجية: أثبت الباحثون على مر القرون، أن العنف البشري غريزة فطرية ولقد عمّم كل من الباحثين : كونارد و أندري هذا المفهوم، حيث يريان أن الغريزة العدوانية غريزة فطرية في الجنس البشري مثله في

ذلك مثل سائر الحيوانات الأخرى. حيث أكد أندري أن غريزة حب التملك والعدوان فطرية في الجنس البشري مما يفسر انتشار العداء والبغض بين البشر، وتتدرج فكرة (الارتقاء والتطور) وراء هذه النظرية، حيث يرى بعض الباحثين أن الكائنات الحية مثل الحيوان والإنسان تستمر في البقاء بسبب هذه الغريزة العدوانية. ولقد أكد لورنز أن كلا من العنف والعدوان في غاية الأهمية من أجل البقاء والحياة.[8]

النظرية الوراثيــة: يرى علماء الوراثة أن هناك صفات أساسية في الفرد تأتيه من أبويه وأسلافه عن طريق الوراثة، فينتقل السلوك الجانح عن طريق الوراثة[9].

فالأطفال كما يشبهون أبائهم من الناحية الجسمية والعقلية فإنهم يشبهونهم سلوكيا وعاطفيا، وهناك قول قديم يقول بأن"وصمة الإجرام تجري في عائلات معينة"، وتأكد ذلك بدراسة التاريخ العائلي لمضطربي السلوك ودراسة التوائم المتماثلة، التي كشفت أنه إذا كان الآخر مجرما بنسبة ثلاثة من كل أربعة، فإنّه في التوائم غير المتماثلة تقل النسبة إلى واحد من أربعة[10].

حيث ثبت أن الخلية الإنسانية التي يتكوّن منها الكيان الإنساني تتكوّن من جزأين هما: النواة والبلازما، وتتكون النواة من مجموعة من الكروموزومات تحمل ما يعرف باسم الجينات أو الصبغيات أو الإمكانيات الوراثية للإنسان، هذه الجينات لها دور مهم في ظاهرة العدوان والسلوك العنيف.[11]

نظرية التحليل النفسي: يتزعمها " فرويد " الذي يفترض أنّ غريزة التدمير والعدوان عند الإنسان تمثل مشاعر يمتلكها الإنسان عندما يكون محبطا وعندما لاحظ " فرويد " خسائر الحرب العالمية الأولى، ازداد اهتمامه بالبحث حول ظاهرة العنف أو العدوان والتدمير ومنه كان مفهوم " اللبيدو" التي تمثل

الدوافع الشهوانية والجنسية لدى الإنسان في صراعها مع غريزة الموت. أما العالم " رايش " فيؤكد على أن أي توتر عدواني ينتج عن الإحباط.

نظرية التعلم الاجتماعي: يرى أصحاب هذه النظرية أن حدوث السلوك العدواني يرجع أساسا إلى فكرة التقليد حيث يلجأ الصغير إلى تقليد الكبير ومن هنا يكون العنف عادة متعلمة تتدعم كلما مارس الفرد مزيدا من العنف، وقد يحدث التقليد سواء في الوسط الذي يعيش فيه، كتقليد الفرد للأشخاص المحيطين به أو تقليد لبعض النماذج التي تبث له عن طريق وسائل الإعلام، فعادة العنف تتكوّن في الفرد منذ وقت مبكر في حياته، وهذا من خلال العلاقات الشخصية، ففي الأسرة أسباب عديدة تؤدي إلى حدوث السلوك العنيف ومن بينها طرق التنشئة الاجتماعية. ويرى PANDURA أن الفرد يتعلم العدوان والعنف كما يتعلم الأنواع الأخرى من السلوك. طبعا هذا يتعارض مع ما جاءت به النظرية البيولوجية.

النظريات المعرفية : من بين العلماء "كابرار" وهو من علماء النفس الذين ركزوا على العمليات الفكرية والمعرفية، أي أن الإنسان له قدرات يدرك بها وقائع الأحداث ويتخذ استجابات بعد تكوين مشاعر الغضب والكراهية ثم ممارسة السلوك العدواني وقد يعتدل المجال الإدراكي للموقف فيصبح الفرد مستبصرا بكل العلاقات والأبعاد بين السبب والنتيجة[12]، أي أن الخبرة والمعرفة التي يكتسبها الفرد في الوسط والبيئة الاجتماعية تجعله يميز بين السلوك السوي والسلوك المنحرف ويدرك الموقف الكلي قبل الشروع في أي عمل ومنه فإن ظاهرة العنف تتعدد أسبابها فهي حالة اجتماعية ونفسية لها علاقة بالعالم الخارجي، وإن الظروف الاجتماعية لها دور في تقوية هذا السلوك وفي حالة عدم ضبط هذا السلوك تكون ممارسة العنف أكثر فأكثر، فهو الوسيلة لتحقيق الرغبات الذاتية التي لا يستطيع الفرد – غير السوي–

إشباعها لعوامل الاقتصادية والسياسية والثقافية من جهة، ولعوامل نفسية، غريزية تنتج منذ الطفولة، والمجتمع وحده مسؤول عن تحديد أو ضبط هذا السلوك من خلال مؤسساته التربوية، العقابية، الدينية.

النظريات السوسيولوجية المفسرة لمشكلة العنف :

توجد تفسيرات متعددة حول العنف كظاهرة أو كمشكلة اجتماعية استنادا إلى عدة نظريـــات:

1- **نظرية التفكك الاجتماعي** : ترى في العنف حالة جديدة للمجتمع يجد أفراده أنفسهم فيها لا يتقاسمون نفس المعايير السلوكية وحيث تتعدى هذه القواعد السلوكية قواعد أخرى جديدة، فيصبح المجتمع حينئذ في حالة تفكك اجتماعي، كتفكك الأسرة (الطلاق، الانفصال) وتؤدي إلى ضغط على أفراد هذا المجتمع، فتمارس فيه أشكالا متنوعة من العنف وخاصة من قبل الأفراد المحبطين.

وهناك العديد من علماء الاجتماع الذين يفسرون مختلف الظاهر الاجتماعية على أساس ذلك التصدع في القيم بين الأجيال، ويرجعون مشكلة العنف إلى اللاتوازن بين قيم جديدة وأخرى محافظة لها منطق مخالف لهذه الأخيرة.

2- **نظرية التغير الاجتماعي:** نقصد بذلك التغير في أنماط التفاعل داخل المجتمع، مثل تغير العادات بسبب التقدم التكنولوجي، وبدوره تتغير اتجاهات الناس، ومن أصحاب هذه النظرية العالم الشهير "وليم أوجبرون " Wiliam Ogburn " فهو صاحب مصطلح "التخلف الثقافي" أو" الفجوة الثقافية "(13)، ويقصد به اختلاف معدلات التغير في أجزاء الثقافة الحديثة، ومنه تحدث الصراعات وتعم أشكال العنف.

نظرية صراع القيم الاجتماعية: ونلاحظ في هذا الصدد وجود قيم تختص بها مجموعات معينة داخل المجتمع الواحد، ليس شرطا أن تكون عامة بين جميع

أفراد المجتمع وتختلف عن قيم جماعات أو أفراد آخرين، فيحدث صراع القيم وبالتالي تتجاوز العلاقات بسلوك الانحراف، أو بممارسة العنف.

نظرية الانحراف: يرى "ميرتون" أن لكل مجتمع أهدافا معينة يسعى إلى تحقيقها من خلال وسائل مشروعة ارتضاها المجتمع، ولكن داخل كل مجتمع نجد أن هناك بعض الأفراد أو الجماعات الصغيرة التي حرمت من تحقيق هذه الأهداف وبالتالي يتبعون وسائل غير مشروعة للوصول إلى ما يبتغون.

نظرية البناء الاجتماعي : يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المجتمع كله يؤدي إلى هذه المشكلة أي إلى العنف، بما في ذلك مؤسساته ومذاهبه، وعلى هذا يجب وينبغي النظر والاهتمام بالبناء الاجتماعي وإعادة تشكيله لإعادة تنظيم الوضع الاجتماعي على أسس سليمة.

(14) (http://www.ahewar.org/search/desearch)

ثانيـــــا: الأسباب المؤدية إلى العنف :

تتعدد أنواع وأشكال ومظاهر وأسباب العنف، فهي تختلف باختلاف المجتمعات والنظم الاقتصادية والسياسية، وبتعدد القيم الثقافية والدينية، وحتى لتنوع نمط العلاقات الشخصية والاجتماعية، ولهذا فالعنف له أسباب متعددة منها:

أ- **الأسباب الشخصية:** تتأثر بالبنية البيولوجية الوراثية والخلقية فتعطل بعض الوظائف الحيوية التي لها الدور في تحديد السلوك العنيف منها: التسلطية، العدوانية، المحبطة وغيرها...

ب- الأسباب السياسية: تتمثل في ذلك الصراع بين الطبقات ويحدث العنف، بسبب غياب الديمقراطية تبنى السلطة نظام القوة العسكرية كالديكتاتوريات – منع تكوين الجمعيات، النقابات والأحزاب...

ج- الأسباب الاقتصادية والاجتماعية: وهي الظروف المحيطة – المادية – التي تولد مشاكل في الوسط الاجتماعي: كالبطالة، انخفاض مستوى المعيشة وغيرها... تؤدي إلى سلوكيات منحرفة منها العنف.

د- الأسباب الثقافية: هي مجموع المعارف والمعتقدات والعادات والقيم وغيرها ... التي تكون مفاهيم خارج عن المنظومة القيمية للمجتمع لبعض الجماعات أو الأفراد فيكونون توجها إيديولوجيا أو عقائديا متطرفا يستخدم فيه العنف لبسط أو لتحقيق هذه الأفكار.

ه- الأسباب التكنولوجية: والتي يمكن ربطها بعالم المعلوماتية والتي هي من ميزات ما بعد الثورة الصناعية، فانتشار العنف والسلوك الانحرافي قد نمى بعد الانتشار الواسع لوسائل الإعلام بين الشباب، وخاصة تطور أجهزة الاتصال المباشرة، فيحدث احتكاك الشباب بقيم غريبة عنه تكون مشحونة بالعنف والانفعالات العدوانية، فالتقدم التكنولوجي الذي صاحب تصدير أنواع الأجهزة ووسائل الاتصال، والعديد من الآلات إلى بعض المجتمعات، كذلك صاحب هذا التقدم أنماط ثقافية وسلوكيات وقيم واتجاهات لا تتماشى والمحيط الاجتماعي وقد تكون بعض هذه الأنماط الثقافية غريبة تماما على أفراد المجتمع فيحدث التصادم، ويقع خلل في القيم فتكون تلك الهزات التي تنجم عنها بعض المشكلات الاجتماعية كالعنف.[15] فالتقدم الكبير، الذي يشهده مجال الإعلام والاتصال والتكنولوجيات المختلفة، لدى الجيل الجديد، يختلف شكلا ومضمونا، عن الجيل القديم، وبالتالي تختلف القيم والثقافات ويصعب تكوين إطار أحادي للفهم العام للأمور بين الجيلين، فيحدث الصراع، ويتولد انفجارا لدى جيل الشباب، باستخدامه أساليب العنف المادي أو البدني أو اللفظي للتعبير عن رغباته المخالفة لقيم ولأفكار الجيل القديم .

إن الثورة المعلوماتية التي خلقت تقنيات جد متطورة في البرمجة والإعلام ساهمت بطريقة أو بأخرى في تكوين شخصية عدوانية، وفي تنشئة أطفال مولعون بالعنف والتدمير، فرؤية العنف في التلفزيون هو من أهم أسباب السلوك العدواني عند الأطفال ويتم ذلك عن طريق التلقين العفوي والتقليد والنمدجة.

كل ذلك يعد من الأسباب المؤدية لنشأة العنف بالمجتمع لكن قبل كل ذلك هناك المؤسسة الأهم وهي الأسرة التي يمكن الاعتماد عليها في حماية المجتمع من خطر العنف من خلال عملية التنشئة الاجتماعية السليمة لأبنائها، ومع ذلك يمكن للأسرة أن تكون هي الأخرى سببا من أسباب توليد العنف بالمجتمع.

الأسرة و انتشار العنف بالمجتمع:

تعد الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي أقامها الإنسان لاستمرار حياته في الجماعة وتنظيمها بل إنها قاعدة لكل هذه المؤسسات بحيث لا يكون لها استمرار إلا باستمرار الأسرة كمؤسسة تربوية.

على هذا الأساس فهي الوحدة الوظيفية المكونة من الزوج، والزوجة والأبناء، تربط بينهم رابطة الدم والأهداف المشتركة لها عدة وظائف تبدأ بالإنجاب، ثم تنظيم النسل والتنشئة الاجتماعية وكذا الوظيفة الاقتصادية.

مع ذلك يمكن وكما سبق الإشارة إليه أن تلعب الأسرة دورا هاما في تفشي ظاهرة العنف عند الأبناء وبالتالي تناميها وتعقدها بالمجتمع ككل، وفيما يلي أهم العوامل التي تتسبب من خلالها الأسرة في بروز ظاهرة العنف:

1- **ظاهرة التسلط الأبوي:** يرى المختصون في المجال التربوي أن الأسر العربية تعاني من السلطة الأبوية الصارمة (نظام أبوي)، وتبرز مظاهر هذا التسلط فيمـــا يلـــي:

- هيمنة قيم السلطة والعنف في النسق التربوي للأسرة الأبوية.
- استخدام أساليب التهديد والوعيد من طرف الكبار على الصغار.
- اعتماد الآباء والأمهات أسلوب الضرب المباشر للطفل.
- التأنيب المستمر والأحكام السلبية التي يصورها الأبوان على الطفل.
- تخويف الطفل من خلال الاعتماد على القصص الخالية المخيفة (الغول، البازغوغ...)

كذلك يمكن إضافة ممارسة الضرب على الزوجة أمام الأطفال هذا من شأنه أن يؤدي إلى اكتسابهم السلوك العنيف. وقد ترتكز السلطة في يد أحد الوالدين وهذا يؤدي إلى سيادة جو الاستبداد الذي لا يسمح للأبناء للمشاركة في اتخاذ القرارات والتعبير عن حاجاتهم واتجاهاتهم داخل الأسرة مما يؤدي إلى غلبة روح الإحباط الذي بدوره يؤدي إلى العدوان والعنف.

2- سيادة روح الصراع والخلاف بين الوالدين: إن الشجار والخلافات المتكررة والمشدات الكلامية بين الزوج وزوجته أمام مرأى ومسمع الأبناء يزيل الاحترام والتقدير ليس فقط بين الأزواج ولكن أيضا بين الأبناء والوالدين. هذا الصراع بطبيعة الحال يزرع الخوف وعدم الأمان والطمأنينة ويخلق اضطراب في السلوك عند الأطفال، إن الجو الأسري الذي تسوده الخلافات يطبع سلوك أفراده بطابع العنف (التمرد، الهروب، العدوان وحتى الانتحار)، انه سلوك ينم عن الرغبة في الهروب من الجو المفعم بالخلاف ومنه يصب هؤلاء الأطفال كل مشاعرهم السلبية المكبوتة في شكل غضب وتدمير في مدرستهم أو في الشارع أو في أي مؤسسة تطأها أقدامهم، وعليه يمتاز أبناء الأسرة الغير مستقرة بالشغب كأسلوب انتقام لما يعانونه من أسرهم.[16]

3- الأساليب التربوية الخاطئة: إن التنشئة الاجتماعية الأسرية هي العملية التي تحتوي على أساليب و تعاليم عديدة يتلقاها الفرد من أجل بناء شخصية متزنة متوافقة من الناحية الجسمية والعقلية.

ومن بين أساليب التربوية الخاطئة نجد:

أ- القسوة والتشدد: يعنى بالتشدد فرض الوالد أو الوالدة لرأيه على الطفل، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين، وذلــك بأساليــب متعــددة كالخصــام أو الإلحاح أو الضرب أو الحرمان أو غير ذلك، والنتيجة فرض الرأي سواء بالعنف أو اللين.

أما القسوة يقصد بها استخدام الوالدين أو أحدهما أساليب العقاب البدني أو التهديد به لأتفه الأسباب... وعلى الرغم من أن العقاب قد يكون ضروريا في بعض الأحيان لحماية الابن من مواطن الخطر، إلا أن القسوة الزائدة ونظرة الكراهية التي تبدو في أعين الأب أو الأم أثناء عقاب الطفل تزيد من رعبه وخوفه الشديد من الترك والتخلي عنه، مما يجعله يزداد التصاقا بالوالد الذي يعاقبه، وهو منظر يدعو للشفقة حقا[17]. لقد اتضح أن العقاب غير العادل يعتبر عاملا هاما في انحراف المراهقين.

يميل الكثير من المشتغلين في الشؤون الاجتماعية في تفسيرهم لقسوة الآهل على الطفل بأن معاملة الطفل بقسوة غالبا تكون نتيجة حالة مرضية عند الأهل خاصة عند الأم، وكذلك نتيجة لشروط الوسط العائلي الذي يعيش بكنفــه الطفل، الطفل " المشكل" أو الطفل " الصعب" يســاهم في إحبــاط سلــوك الأمومة، ويدفع الأم إلى عدم تقبله وعدم محبته ويكون سلوكه مصدرا للتوتر والاضطراب ويــؤدي ذلك إلى شعور الأم بالفشل والإخفاق في القيام بدورها[18].

إن لقسوة وصرامة الوالدين في معاملة الأبناء آثاره الخطيــرة، حيــث يساعد على خلق شخصيات ضعيفة لا تقوى على إبداء الرأي، خائفة، مستكينة، كما أنها تؤدي إلى تقوية الناحية الهدامة من الضمير، وإضعاف قوة الذات عند الطفل، وتأخر النضج الانفعالي، والعجز عن الاعتماد على نفسه، وقد يتطور الأمر إلى ممارسة أشكال من الانحرافات السلوكيــة المختلفــة، وممارسة ألوان السلوك المضاد للمجتمع كالتشرد والإجرام[19].

كما قد ينتج عن اتّباع هذا الأسلوب شخص عدواني يخرب ويكسر أشياء الآخرين لأن الطفل في صغره لم يشبع حاجته للحرية والاستمتاع بها (تكوين شخصية ذات سلوك مضاد للمجتمع).

ب- التدليل (الإفراط في التساهل والتسامح): يعاني بعض الآباء في مطلع حياتهم من الأساليب اللاتربوية التي كانوا يعاملون بها في أسرهم، من ظلم واستبداد وقسوة حد البطش والتنكيل بهم، الأمر الذي يؤلمهم فيكبتونه كخبرة من الخبرات السيئة، عندها يتشكك هؤلاء الآباء في قيمة النظام والسلطة، فيتركون أطفالهم يفعلون ما شاءوا بلا ضابط أو روابط، فيؤدي ذلك إلى تربية أطفال لا يحفلون البتة بمراعاة القواعد والأصول سواء داخل المنزل أو خارجه[20].

عموما يقصد بالتدليل تشجيع الطفل على تحقيق رغباته بالشكل الذي يحلو له، ومع عدم توجيهه لتحمل أي مسؤوليات تتناسب مع مرحلة النمو التي يمر بها، وقد يتضمن هذا تشجيع الطفل على القيام بألوان من السلوك الذي يعتبر عادة من غير المرغوب فيها اجتماعيا، وكذلك يتضمن هذا الاتجاه دفاع الوالدين عن الأنماط السلوكية غير المرغوب فيها ضد أي توجيه أو نقد قد يصدر نحو الطفل من الخارج[21].

من بين الآثار السلبية على شخصية الأبناء الناتجة عن هذا الأسلوب من المعاملة نجد عدم الشعور بالمسؤولية واللامبالاة والإهمال وعدم الطاعة والعدوان والعنف.

ج- الرفض وعدم التقبل: الرفض هو اتجاه أحد الوالدين أو كلاهما نحو كراهية طفلهما مما يؤدي إلى عدم إشباع احتياجات الطفل للحنو والانتماء، ويؤثر هذا السلوك تأثيرا بالغا في التكوين النفسي للطفل خاصة في المراحل الأولى من حياته ومن أهم مظاهر الرفض :

* التهديد بالطرد من المنزل أو الحرمان من فسحه أو تسليمه إلى الشرطة إذا ما ارتكب ذنبا في محيط الأسرة.

* إذلال الطفل ويأخذ هذا الإذلال صورا متعددة كالنقد أو السخرية أو اللوم أو المقارنة بين الأطفال في أمور تقلل من شأنهم في نظر أنفسهم أو إلقاء أسماء أو ألقاب تهكمية أو مديح أصحاب الطفــل و ذكر ما بهم من محاسن.

* عدم حماية الأطفال والاهتمام بشؤونهم أو إهمال الإجابة عن أسئلة الأطفال أو عدم التعقيب على تقرير أو شهادة مدرسية أو عدم مديح الطفل لحصوله على جائزة.

تكمن خطورة هذا الأسلوب من المعاملة في قيام الطفل المرفوض من طرف والديه بسلوكيات تتميز بالمقارنة والعدوان والثورة والعناد، وهؤلاء الأطفال الذين يشعرون بالنبذ أو الرفض في الغالب مصدر شغب وتعب سواء في البيت أو المدرسة، كما أنه ليس من السهل إخضاعهم للسلطة. وعندما يكبرون يشيع بينهم السلوك المضاد للمجتمع والعدوان والقسوة والكذب والسرقة والحلف وجذب الانتباه والتباهي[22].

كما يلجأ الفرد الذي نشأ على عدم تقبله من طرف والديه إلى الصمت، أو يحتمي بالصمت كرد فعل على ما يعانيه من إحباط وتجاهل وانعدام الشعور

بالأمن والحب... من طرف المحيط الذي يعيش فيه لا سيما من طرف والديه أو من ينوب عنهما، والصمت في هذه الحالة "سلاح عدواني" يلجأ إليه الفرد كسلوك انسحابي يهرب فيه من مواجهة الموقف ليسقط ما يشعر به من توتر على ذاته. وفـــي هذا الصدد يشير المعالج النفســـي "آرثر جانوف" بأن: المشكلة ليست في السؤال: كيف نربي أطفالنا؟ وإنما كيف نتعامل مع الذين نحبهم[23].

لقد وجد في الكثير من الدراسات أن النفور والرفض يرتبطان ارتباطا وثيقا بضعف الجو العاطفي في الأسرة أو انعدامه في الصغر، ووجدت بعض الدراسات أن الترابط قوي بين النزوع إلى العدوان الاجتماعي ونقص عاطفة المحبة والحنان في البيت.

د- النقد الزائد: إن النقد الزائد هو أسلوب غير سوي في تكوين أبناء ومواطنين غير أسوياء، فانه يتضمن وصـــف الطفل بصفات سيئة، والتركيز على أخطائه باستمرار، ومعايرته ما يترتب على هذه الأخطاء، مع تجاهل جوانب ايجابية في سلوكه وشخصيته، والتركيز على سلبياته[24].

إن مؤاخذة الطفل على خطأ ارتكبه أو لإخفاقه في تحقيق نتيجة ايجابية في أمر ما، يجب أن لا تتحول إلى احتقار للطفل وتخجيله من ذاته، بل يجب أن يشعره أبواه بأن الجميع معرض للخطأ والإخفاق، و بإمكانه التراجع عن الخطأ وتحقيق النجاح في المستقبل، وكما يقول عالم النفس الألماني "إيريك فروم" ليس أقسى على الإنسان من أن يشعر بأنه تافه وحقير.

إن ما يميز هؤلاء الأطفال المعرضون للنقد والسخرية من طرف أوليائهم هو السلوك الانسحابي حينما يشعرون بأنهم ضحية للنقد القاسي، وحينما يصبح الطفل منسحبا فإنّه يتجنب التعرض للناس وللمواقف أو الأشياء التي تثير في نفسه القلق والضيق، وإذا اضطرته الظروف إلى مواجهة هذه المواقف

انطوى على نفسه وتقوقع وعاش مع الناس دون أن يتعايش معهم[25]. هذا الأسلوب يؤدي إلى خلق الإحباط وعدم القدرة على المواجهة وبالتالي رفض المجتمع له ورفضه للمجتمع.

ه- التذبذب في معاملة الأطفال: إن إدراك الطفل من خلال معاملة والديه له أنهما لا يعاملانه معاملة واحدة في المواقف المتشابهة هذا يعني التذبذب في المعاملة وهناك تذبذب قد يصل إلى درجة التناقض في مواقف الوالدين وهذا الأسلوب يجعل الطفل غير قادر على توقع رد فعل والديه إزاء سلوكه، ويدرك الطفل أن معاملة والديه تعتمد على المزاج الشخصي والوقتي وليس هناك أسلوب ثابت لسلوكهما نحوه[26].

إن التقلب في معاملة الطفل بين اللين والشدة أو القبول والرفض من أشد الأمور خطرا على خلقه وصحته النفسية وتكوين شخصيته بصفة عامة وإذا به يثاب على عمل مرة ويعاقب عليه هو نفسه مرة أخرى، هذا التذبذب في معاملة الطفل يجعله في حالة دائمة من القلق والحيرة ولا يعينه على تكوين فكرة ثابتة عن سلوكه وخلقه، كما أنه يهز ثقته بوالديه ولا يدري إن عمل عملا أيثاب عليه أو يعاقب من أجله.

لقد أشار المختصون إلى أنه لابد أن يمتاز سلوك الوالدين بالثبات في معاملة أبنائهم حتى لا يميلوا إلى الانحراف والسلوك العدواني، ووجدوا أن الأطفال الذين ينتمون إلى الأسر ذات الثبات في معاملة أطفالهم أقل عدوانية.

و- التفرقة بين الإخوة: إن التفرقة أسلوب يتضمن الأثر والتفضيل والمحاباة والتحيز وعدم النزاهة والمساواة بين الأبناء في الرعاية والعناية والاهتمام الموجه إليهم بسبب الجنس أو السن أو اللون أو المرض أو لأي سبب أخر ويتجلى السلوك الوالدي المتحيز أو المحابي بين الأبناء بأن يبدي الوالدان حبا أكبر للابن الأصغر أو الأكبر أو أن يفضل البنين على البنات أو

العكس وأن يعطى أحد الأبناء أولوية أو امتيازات مادية أو معنوية أكثر من باقي إخوته.

هذا الأسلوب بلا شك يؤثر على نفسيات الأبناء الآخرين فيشعرون بالحسد والغيرة تجاه هذا المفضل وينتج عنه شخصية أنانية حاقدة تعودت أن تأخذ دون عطاء، وتحب أن تستحوذ على كل شيء لنفسها حتى ولو على حساب الآخرين، لا يرى إلا ذاته فقط والآخرين لا يهتم لأمرهم، كما ينتج عنه شخصية تعرف مالها ولا تعرف ما عليها تعرف حقوقها ولا تعرف واجباتها. وأهم خاصية لهذا النوع من الأسلوب هو تكوين سلوك عدائي من قبل الأبناء نحو الابن المفضل وتتوسع الدائرة إلى كل أفراد المجتمع.[27]

4- طلاق الوالدين: قد يكون الطلاق راحة للزوجين من عناء مشكلات الحياة الزوجية التي تعذر استمرارها بينهما، ولكنه بلا شك سيتسبب هذا الطلاق في مشكلات كبيرة تؤثر مباشرة وغير مباشرة على أطفالهما. إنه غني عن القول، إن تنشئة الأطفال بعيدا عن أحد الأبوين أو عن كليهما يكون له أكبر الأثر في حدوث شرخ في جدارهم النفسي، مما ينعكس في سلوكياتهم التي تبدو بلا شك مخالفة نوعا ما لسلوكيات أقرانهم الذين ينشئون مع أباءهم ويمارسون حياتهم العادية اليومية بينهم، ويزداد الأمر سوءا إذا اختلف المطلقان حول أحقية رعاية الأطفال لأي منهما، حيث يستفحل الأمر بينهما، مما يؤدي بهما وبأطفالهما إلى التردد بين أروقة المحاكم والوقوف في ساحاتها أمام القضاء ليقول كلمته فيها أمام الصغار الذين لا ذنب لهم فيما شجر بين أبائهم.[28]

إذن للطلاق آثار سلبية مباشرة على التنشئة الاجتماعية للأطفال وقد يؤدي بهم إلى السلوك العنيف والعدواني والتمرد، فالشيء الذي لا ينساه الطفل

والذي سجله عقله الباطن وتحتفظ به ذاكرته هو المشاجرات التي حدثت بين الولدين إضافة إلى السب والشتم وحتى الضرب الذي حدث على مرأى ومسمع منه وهذه الأمور يذكرها الطفل من حين لآخر.[29]

5- ظروف العمل وتصدع الأسرة: إن عمل الزوج أو عمل الزوجة يؤثر بدرجة كبيرة على الجو الأسري، حيث أن العمل والظروف المحيطة به تنعكس آثارها على الزوج أو الزوجة بصور مباشرة وبالتالي تنعكس تلك الآثار على الجو الأسري بصور غير مباشرة، فكلما كان العمل مريحا ومناسبا بحيث يشعر الفرد براحة نفسية وطمأنينة مادية عاد هذا الفرد إلى أسرته مرتاح النفس، وبالتالي يستطيع التفاعل مع أفراد الأسرة بصورة طيبة، أما إذا كان عمل أي من الزوجين غير مناسب لمن يمارسه أو يحيط به؛ جو وظروف متعبة، فإن الفرد يشعر فيه بالضيق والتوتر وتصبح حالته النفسية سيئة فيعود إلى أسرته متعبا مرهقا بكثير من المشاعر السلبية التي يقوم بالتنفيس عنها داخل الأسرة فتسوء العلاقات وتظهر المشكلات ويضطرب الجو الأسري ويهتز كيان الأسرة، وانطلاقا من هذه الظروف البيئية الداخلية للأسرة ندرك الأثر الكبير في إكساب الأبناء سلوك العنف[30].

6- أثر عدد الأبنـــاء في الأسرة بظاهــرة العنف: لقد بينت الأبحاث والدراسات العالمية المقارنة أن الأسرة الكبيرة لها علاقة قوية بجنوح الأحداث وانتشار العنف بالمجتمع ومن بين هؤلاء الباحثين لهذه الظاهرة نجد كل من: "ووتن Wootton (1959) و هيرشHirsh (1964) وواست west (1967)

حيث لوحظ بأن العائلة الكبيرة الموسعة تعاني من الاكتظاظ وضعف الضبط الاجتماعي للآباء على أبنائهم، فقد بين Newson 1968على أن لأم العائلة النووية فرصا أكثر لملاحظة أبنائها والتكلم معهم وقد أثبت ذلك في الو.م.أ

من طرف الباحث قلاكس Gluecks (1950) وفي الهند من طرف شالت Shelt (1961) فقد تبين بأن أغلب الجانحين ينتمون إلى عائلات موسعة تتكوّن من أكثر من 04 أفراد."[31] (http://www.startimes.com).

فالأسرة الكبيرة الممتدة عند ارتباطها بالفقر وفي الأوساط الحضرية تكون عاملا مهما في الانحراف والجريمة والعنف.

7- المنزل الفقير من الحاجيات الأساسية وعلاقته بظاهرة العنف: كما أن السكن في بيت سيء وغير مجهز مثلا: بطباخة، ثلاجة، حمام، مكيف الهواء ... له علاقة وطيدة بالانحراف وبروز الجريمة خاصة في المدينة، فنقص التأثيث يشير إلى غياب جو مريح في البيت وهذا ما يدفع كثيرا من الأبناء إلى الهروب إلى الشارع حيث تقل الرقابة وتكثر فرص الانحراف. لقد تطرق ابن خلدون إلى ذلك في المقدمة من خلال إشارته إلى أن الذهاب وراء ماديات الحياة مفسد للطباع.[32].

8- الفساد الخلقي في محيط الأسرة: يعتبر في مقدمة العوامل التي تدفع الحدث إلى الانحراف، مثل انحراف الوالدين أو أحدهما، أو انحراف أكبر الأبناء أو البنات، ويتمثل هذا الفساد في انعدام القيم الروحية، وفقدان المثل العليا واختلال المعايير الاجتماعية بين أفراد الأسرة، ويؤكد الباحثون ذلك الارتباط القوي بين انحراف الوالدين أو أحدهما وانحراف الأبناء[33].

كما يؤكدون على أن الطفل يتأثر بكل ما يحيط به من أنماط سلوكية مختلفة، ويقلده وليس أهم من الوالدين من يستطيع أن يرسم للطفل طريق المحاكاة والتقليد، فالطفل يتعلم الكثير من والديه ويتعلم ذلك بسرعة فائقة، فكل اضطراب في سلوك الوالدين أو انحراف في شخصيتهم لا شك أنه يعكس آثاره على شخصية الطفل في الوقت الحاضر أو في المستقل.

الخاتمة:

من خلال المعطيات السابقة المتعلقة بدور الأسرة في نشأت العنف داخل المجتمع وذلك من خلال انتهاجها للطرق الغير سوية في تنشئة صغارها بالإضافة إلى سوء ظروفها الاجتماعية بشكل عام المتمثل في: ظروف محيط عمل كل من الأم والأب وانعكاساته على صحة الأسرة وفي بعض الأحيان تفكك الأسرة الجذري (الطلاق) وسوء أخلاق الوالدين وعلاقة كل ذلك بتفشي ظاهرة العنف يجعلنا نخرج ببعض التوصيات لمواجهة العنف الناتج عن كل هذا والتي سوف نردها كما يلـــي:

– الاهتمام بالتنشئة السوية الوالدية للأبنـــاء: فالأسرة هي أساس المجتمع، ويجب مراعاة التنشئة الدينية الصحيحة، فالدين هو غذاء الروح والعقل والحسد، وبه مقومات الحياة السوية لأنه منزل من الخالق.

– الاهتمام بحل المشكلات النفسية والاجتماعية والمهنية للآباء والأمهات بأسلوب علمي تشارك فيه الأسرة والمجتمع.

– توفير المؤسسات والنوادي الرياضية والاجتماعية والترفيهية التي تساعد على بناء العقل والجسم واستغلال طاقات الشباب وشغل وقت الفراغ تحت إشراف وتوجيه بما يعود بالنفع عليهم والبعد عن رفاق السوء، مع ملاحظة أي بوادر للانحراف وعلاجها، خاصة تسرب التلاميذ من المدارس.

– على وسائل الإعلام تقديم المواد الإعلامية التي تكون اتجاهات ايجابية نحو الحياة بشكل عام، وملاحظة البرامج والأفلام المستوردة التي تبث اتجاهات سالبة نحو ارتكاب أفعال العنف (البطل العنيف الذي ينتصر دائما)، كما يجب اهتمام وسائل الإعلام بتكثيف الجهود لإلقاء الأضواء على مشكلات العنف والجريمة وأثارهما على الفرد والمجتمع، وأضرارهما النفسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية.

قائمة المراجـــع:

1- حمادة عبد السلام، العنف في المرحلة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 2007، ص 13.

2-عدنان الدوري، العنف في وسائل الإعلام وآثاره على الناشئة والشباب الرياضي: المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، دور الإعلام في توجيه الشباب، أبحاث الندوة العلمية الخامسة، 1987، ص ص 133-134.

3 -James willian Colman et Donald R. Gressey, Les problèmes sociaux, EdK Haper et Row, New york, 2éd, 1987, p 38.

4- وفاء محمد البرعي، دور الجامعة في مواجهة التطرف الفكري، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002، ص 111.

5- المرجع السابق، ص 113-14.

6- محمد جواد رضا، ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، تفسير سوسيوسايكولوجي، مجلة الفكر، المجلد الخامس، العدد 3، أكتوبر 1974، ص 155.

7- سعيد الخضري، اقتصاديات التنمية والتطور، قسم الاقتصاد، جامعة قناة السويس، مكتبة الجلاء الحديثة، بورسعيد،1999، ص ص 226-227.

8- James willian Colman et Donald R. Gressey, Op.Cit, p 445.

9- جعفر عبد الأمير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، عالم المعرفة، بيروت، 1981، ص 35.

10- محمود حمودة، الطفولة والمراهقة، المشكلات النفسية والعلاج، الطب النفسي، المطبعة الفنية، دار الشعب، القاهرة، 1987، ص 14.

11-حمادة عبد السلام، العنف في المرحلة الثانوية، المرجع السابق، ص 44.

12- عصام عبد اللطيف عقاد، سيكولوجية العدوانية و ترويضها، دار غريب، القاهرة، 2001، ص 116.

13- سحر فتحي مبروك، وعصام توفيق عمر، المشكلات الاجتماعية المعاصرة، دار الفكر، الأردن، 2008، ص ص 27-30.

14- (http://www.ahewar.org/search/desearch)

15- برهان غليون، العرب وتحديات العولمة الثقافية ، مقدمات في عصر التشريد الروحي، في ملتقى المجمع الثقافي في أبو ظبي (10 أفريل 1997).

16- كنزاي محمد فوزي، مرفولوجية العنف المدرسي: العوامل والتحديات،مجلة مجلة سلسلة الدراسات الاجتماعية، دار الهدى للطباعة والنشر، 2007، ص 220.

17- حسن مصطفى عبد المعطي، المناخ الأسري و شخصية الأبناء، دار القاهرة، 2004، القاهرة، ص 265.

18- وفيق صفوت مختار، الأسرة و أساليب تنشئة الطفل، دار العلم و الثقافة للنشور التوزيع، القاهرة، 2004 . ص 322.

19- زينب محمود شقير، الباثولوجيا الاجتماعية و المشكلات المعاصرة ، مكتبة الانجلو-مصرية، القاهرة، 2001. ص 99.
20 - وفيق صفوت مختار، مرجع سبق ذكره، ص 217.
21-نجيب اسكندر، عماد الدين إسماعيل، رشدي فام، كيف نربي أطفالنا، دار النهضة العربية، القاهرة، بدون سنة، ص212.
22- كمال دسوقي، النمو التربوي للطفل والمراهق، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص ص 346-347.
23 - JANOV, A. L'amour et l'enfant, Ed. Flamarion. Paris, 1977, p 220
24 -زينب محمود شقير، مرجع سبق ذكره، ص 104.
25- وفيق صفوت مختار، مرجع سبق ذكره، ص 259.
26- علاء الدين كفافي, تقدير الذات في علاقته بالتنشئة الوالدية و الأمن النفسي, جامعة الكويت, المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 1989، ص 110 .
27- عباس محمود عوض، رشاد صالح الدمنهوري، علم النفس الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1994، ص 85.
28- ماهر محمود عمر، سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الكويت، 2001، ص 404.
29- دردوس المكي، الموجز في علم الإجرام، د.س، قسنطينة، ص 183.
30- محمد سلامة، محمد غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة و الطفولة والشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص ص 90-91
31- http://www.startimes.com).
32- المرجع السابق.
33- فؤاد سيد موسى، الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الأحداث المنحرفين والمعرضين للانحراف، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1989، ص 99.